شرح

الأصول الستة

لشيخ الإسلام الإمام المجدد

محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله تعالى

شرح الشيخ

وليد بن محمد الغربي

حفظه الله تعالى

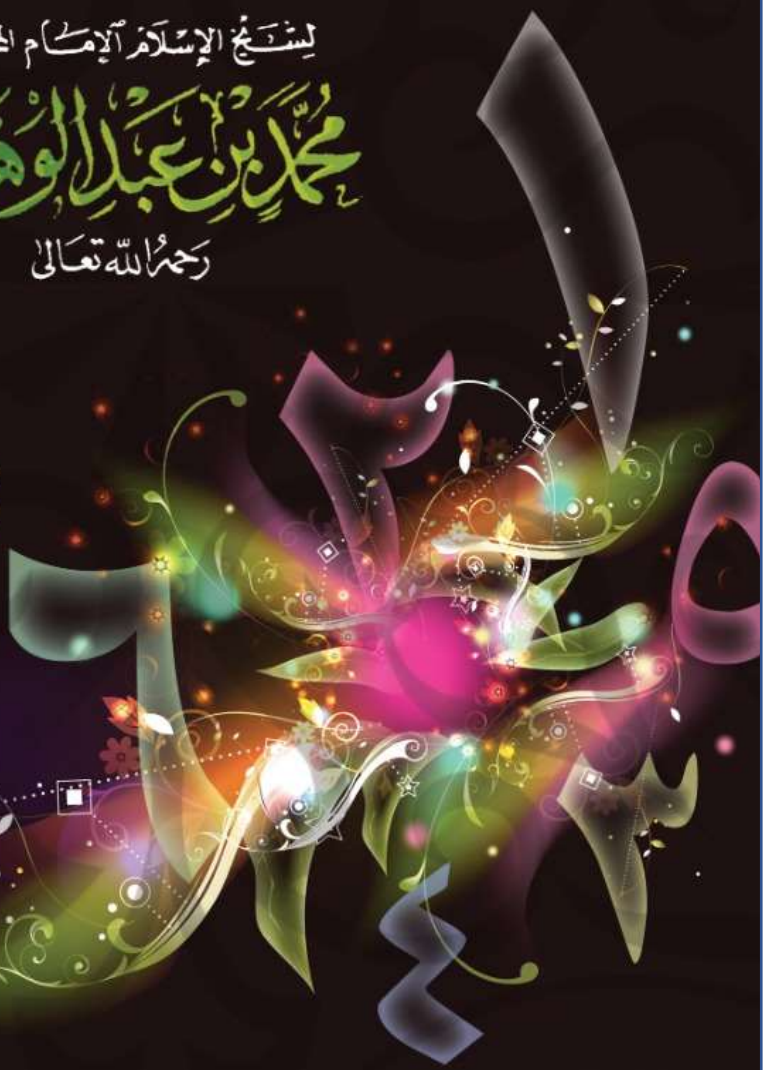

شبكة العلم الشرعي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمد لله رب الْعَالمين وصلَاتُه وسَلَامُه على خير خلقه أَجْمَعِينَ مُحَمَّد سيد الْمُرْسلين وخَاتم النَّبِيين وإِمَام الْمُتَّقِينَ وقائد الغر المحجلين وعَلى آله وأَصْحَابه أَعْلَام الْهدى وأئمة الدّين وعَلى سَائِر عباد الله الصَّالِحِين صَلَاة وسلَامًا دائمين متصلين إِلَى يَوْم جمع الْأَوَّلين والآخرين وبعد:

وبعد، فهذا ملخص شرح الأصول الستة للإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله مستفاد من شروح أهل العلم لاسيما شرح الشيخ الدكتور عبد السلام بن برجس رحمه الله.

أولاً: موضوع هذه الرسالة:

هذه الرسالة شملت التوحيد والعقيدة والمنهج.

ثانيا: لماذا خص المصنف هذه الأصول الستة مع أن أصول الدين أكثر؟

ج: ليتمكن طالب العلم من حفظها وضبطها، وهذا الأسلوب من هدي النبي ﷺ كما في الحديث المتفق عليه (آية المنافق ثلاث..) مع أن علامات المنافقين أكثر.

ثالثا: (الأصول) جمع أصل، وهو: الأساس الذي يتفرع عنه غيره.

رابعا: منزلة هذه الأصول من الشريعة الإسلامية:

وصفها المصنف بأنها عظيمة.

- وقال عنها الشيخ الدكتور عبد السلام بن برجس ﷾ – في شرحه النفيس لهذه الأصول –: "وهذا متن صغير في حجمه لكنه كبير فيما حواه من علم بعقيدة أهل السنة والجماعة بأسلوبه السهل وملامسته لواقع الناس، فهو متن ينبغي أن ينشأ عليه أجيال أهل السنة والجماعة، إذ معرفته سبب لسعادة الدارين وسبب للنجاة من الفتن" إ–هـ.
- وقد اشتملت هذه الرسالة على أصول الدين وقواعده.
- واشتملت على حقوق الله وحقوق عباده.
- وبها تنتظم مصالح الدنيا والآخرة. .

قال المصنف ﷾: **(من أعجب العجاب، وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب ستة أصول بينها الله تعالى بياناً واضحاً للعوام فوق ما يظن الظانون، ثم بعد هذا غلط فيها كثير من أذكياء العالم وعقلاء بني آدم إلا أقل القليل).**

قوله: (من أعجب العجاب).

العَجَبُ: هو انفعال نفسي عند حصول شيء مستغرب خارج عن العادة.

و (العُجاب): هو شدة العجب.

قوله (وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب)

المراد بـ(**الآيات**) آيات الله، وهي قسمان:

١-آيات شرعية، وهي القرءان ٢- آيات كونية، وهي المخلوقات.

الملك: اسم من أسماء الله دال على صفة الملك الشاملة لكل شيء.

وأما (**الغلاب**)، فليس من أسماء الله، ولكن أخبر به المصنف عن الله وباب الإخبار أوسع من باب الأسماء، فإنها توقيفية، ومعناه القاهر لكل ما سواه.

قوله: (**ستة أصول بينها الله تعالى بياناً واضحاً للعوام فوق ما يظن الظانون**).

مما يدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة النحل:٨٩]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [سورة يوسف:٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

قوله: (**فوق ما يظن الظانون،**).

يعني لو فرض أن هنالك بيانا يُظن فيه أنه أتم بيان وأوضحه؛ لكان هذا البيان فوقه وأوضح منه.

قوله: (**ثم بعد هذا غلط فيها كثير من أذكياء العالم وعقلاء بني آدم إلا أقل القليل**)

نستفيد من هذه الجملة عدة فوائد منها:

١- أن الذكاء ليس بحجة، وليس بنافع حتى يقترن بالزكاء، وهو التقوى لله تعالى.

٢- أن الذكاء في الغالب يؤدي إلى العُجْب والغرور والاستكبار عن الحق.

٣- أن من أعطي ذكاءً فليحمد الله وليستخدمه في طاعة الله، وإلا فسيضره.

٤- نستفيد أنه يستحيل أن يستقل عقل الإنسان بمعرفة المصالح والمفاسد من دون الشريعة؛ فمَثَلُ احتياج العقل إلى الشرع كمثل احتياج البصر إلى ضوء خارجي كضوء النهار.

٥- أن أهل الحق في الغالب هم القليل قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سورة سبأ:١٣]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأنعام:١١٦].

- فالعبرة ليست بالكثرة، وإنما بالحق، ولو كان أهله هم القليل.

الأصـل الأول:

قال المصنف رحمه الله: **(الأصـل الأول إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين وأتباعهم).**

س: ما مضمون هذا الأصل؟

ج: يتضمن بيان التوحيد الذي هو أصل الأصول وأوجب الواجبات، وأعظم الحِكم والمصالح والغايات الذي من أجله خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب.

وبيان الشرك الذي هو مناقض للتوحيد، ومحبط للأعمال، وموجب للخسران والهلاك والحرمان، والذي لا يصح التوحيد ولا يتم إلا بتركه.

س: ما معنى (الإخلاص)؟

ج: الإخلاص: في اللغة: التصفية والتنقية، وفي الشرع: تصفية العمل من كل شوب. بأن لا يراد بالعمل إلا الله.(١)

قوله:(وكون أكثر القرءان في بيان هذا الأصل).

القرءان كله في التوحيد لأنه، إما بيان له وأمرٌ به وبلوازمه ومكملاته، وإما بيان فضله وما يكرم الله أهله في الدنيا والأخرة.

وإما نهي عن ضده وعدوه ومحبطه، وهو الشرك ونهيٌ عن وسائله وطرقه وبيان عقوبة الله على أهله في الدنيا والآخرة.(٢)

قوله (من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة).

الأوجه التي بين الله بها هذا الأصل كثيرة منها:

١- الأمر الصريح بعبودية الله وحده لا شريك له:

كقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة النساء:٣٦] وغير ذلك من الآيات الكثيرة البينة الواضحة لأبلد العوام.

---

(١) انظر [مدارج السالكين٢/٩٢].

(٢) انظر [مدارج السالكين ٣/ ٤١٨].

٢- **النهي الصريح عن الشرك بالله سبحانه جملة:** كقوله تعالى: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ﴾ [سورة الأنعام:١٥١].

وغيرها كثير.

وتفصيلاً: كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ [سورة البقرة:١٦٥]

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة الجن:١٨]

وقوله ﷺ- (من حلف بغير الله، فقد كفر، أو أشرك)(١)

وقوله ﷺ- (لعن الله من ذبح لغير الله)(٢)

---

(١) حسنه الترمذي عن ابن عمر صحيح. انظر الإرواء (٢٥٦١)

(٢) رواه مسلم

وقوله ﷺ- (من أتى كاهناً، فصدَّقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد)[١] وقولهﷺ- (إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)[٢] . وقوله ﷺ- (من علق تميمة، فقد أشرك)[٣] .

- ثم بعد هذا البيان في الأدلة والنصوص فمن المؤسف أن تجد بعض المسلمين يخالفها ويعمل بما يناقضها.

٣- إثبات اختصاصه سبحانه بالربوبية التي تستلزم الألوهية:

كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [سورة البقرة:٢١].

٤- إثبات إفراد الله بالألوهية:

كقوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمد:١٩].

٥- ضرب الأمثال التي تدل أن الله يخاطب العباد بقدر ما يعقلون:

---

(١) [الصحيحة ٣٣٨٧١٣]

(٢) [الصحيحة ١٢٨٣]

(٣) [الصحيحة ٤٩٢]

كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤﴾ [سورة الحج:٧٣-٧٤].﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤].

٦- القصص الكثيرة في بيان نجاة الموحدين وهلاك المشركين.

قوله (ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين واتِّباعهم).

لما صار على الأمة ما صار من دخول الأعاجم، وتباعد العهد عن خير قرون الأمة، والإقبال على الدنيا والانهماك في شهواتها وملذاتها، والتشبه بالكافرين، والغلو في الصالحين، والاسترسال في الرؤى والمنامات الشيطانية التي يظنون أنها رحمانية وغير ذلك من الأسباب الظاهرة والخفية.

س: من هو الصالح؟

ج: هو من أدى حق الله وحق عباده.(١)

س: **ما منزلة (الصالح) في الشريعة ؟**

ج: مقام الصالحين بعد مقام النبيين والصديقين والشهداء كما قال الله تعالى﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ [سورة النساء:٦٩-٧٠].

س: **كيف يكون التعامل مع الصالحين؟**

ج: يكون وفق ما جاء في الشريعة الإسلامية، فإن الشريعة قد أعطت كل ذي حق حقه فأعطت الصالحين حقهم من الحب والاحترام والإجلال من دون غلو ولا جفاء.

س: **ما هو أول سبب لانتشار الشرك بالله؟**

ج: هو الغلو في الصالحين برفعهم فوق منزلتهم، كما في حديث ابن عباس عند البخاري رحمه الله وسيأتي بسط هذا في كتاب التوحيد إن شاء الله.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم(٤٥٢٧).

س: كيف الرد على من زعم أن أهل التوحيد ينتقصون الصالحين؟

ج: **أولاً**: يقال: أهل التوحيد هم الذين يحبون الصالحين ويحترمونهم ويبجلونهم ويستفيدون من علمهم ويقتدون بهم في مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي أتت بها الشريعة.

ثانياً: إن الغلاة في الصالحين هم الذين انتقصوا الصالحين برفعهم فوق منزلتهم ونسبة الشرك والخرافة إليهم.

ثالثاً: إن الغلو في الصاحين يُعَد تنقصاً لرب العالمين حيث سُويَ المخلوق الضعيف الفقير العاجز من كل وجه بالخالق القوي الغني الحميد ﷻ.

س: من وسائل الشيطان في تزيين الغلو في الصالحين؟

ج: الطرق الشيطانية في تزيين الشرك بالغلو في الصالحين كثيرة، ومنها:

١- رفعهم فوق منزلتهم والتشبث بجاههم.

٢- التبرك بذواتهم وآثارهم.

٣- التوسل بهم، ودعاء الله بهم، والاستشفاع بهم.

٤- الرؤى والمنامات الشيطانية.

٥- إظهار بعض أعمال الدجل والشعوذة باسم الكرامات والمكاشفات ونحو ذلك من خوارق العادات الشيطانية.

الأصـــل الثاني:

قال المصنف رحمه الله:

(الأصل الثاني: أمر الله بالاجتماع في الدين، ونهى عن التفرق فيه، فبين الله هذا بياناً شافياً تفهمه العوام، ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا، وذكر أنه أمر المسلمين بالاجتماع في الدين ونهاهم عن التفرق فيه، ويزيده وضوحاً ما وردت به السنة من العجب العجاب في ذلك، ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين، وصار الأمر بالاجتماع في الدين لا يقوله إلا زنديق، أو مجنون).

س: ما مناسبة هذا الأصل للذي قبله؟

ج: أن من علامات تحقيق التوحيد الاجتماع في الدين.

وأن التفرق سبب علامة ضعف التوحيد وانتشار الشرك.

ولذلك يقول الله تعالى: ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الروم:٣١-٣٢].

س: ما خلاصة هذا الأصل العظيم؟

ج: وجوب الاجتماع والائتلاف ونبذ التفرق والاختلاف.

س: ما هي الأدلة على وجوب الاجتماع في الدين؟

ج: الأدلة كثيرة جداً، ومن وجوه متنوعة نذكر بعضاً منها باختصار:

١- **الأمر الصريح بالاجتماع في الدين** كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ﴾ [سورة آل عمران:١٠٣].

٢- **النهي الصريح عن التفرق والاختلاف:** كما في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة آل عمران:١٠٥].

٣- **بيان عواقب التفرق والاختلاف:** ما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [سورة البقرة:٢٥٣].

ومن عواقب التفرق والاختلاف:

أ- الحسد والشحناء والبغضاء.

ب- الكذب والافتراء.

ت- القول على الله بغير علم.

ث- التحريف والتبديل لكلام الله.

ج- التعدي والبغي.

٤- **الأمر بالتآخي والتعاون والتراحم بين المسلمين كما في قوله** تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحجرات:١٠]

وقوله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [سورة المائدة:٢].

قوله: **"ويزيده وضوحاً ما وردت به السنة من العجب العجاب في ذلك".**

يتمثل هذا في ابتداء رسول الله ن بالمؤاخاة بين المسلمين بصور متعددة في أول تأسيس الدولة الإسلامية، ومن ذلك حديث أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ-: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» متفق عليه.

وحديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ-: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وتَرَاحُمِهِمْ، وتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ والْحُمَّى» رواه مسلم.

ومن ذلك الأحاديث التي فيها بيان حقوق المسلم على أخيه والأمر بالأسباب التي تقوي روابط الأخوة والمحبة والاجتماع في الدين.

كالسلام والزيارة والعطايا والهدايا وحسن الظن والصبر والتحمل وكظم الغيظ والعفو والتسامح وإصلاح ذات البين وغير ذلك من الروابط الإيمانية.

ولذلك جعل من شعائر الدين صلاة الجمعة والجماعة والعيد ونحوها.

وبالمقابل النهي عن كل ما يضعف الاجتماع في الدين ويوهنه مما يخالف ما سبق.

حكمة الله في إيجاد الاختلاف؟

قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة هود:١١٨-١١٩].

فبين الله تعلى أن حكمته البالغة اقتضت إيجاد الاختلاف والتفرق لكي يبتلي العباد ويعلم صبرهم وتقواهم.

س: ما سبب حصول الاختلاف والتفرق؟

ج: مرد ذلك إلى سببين، إما عدم العلم، وإما عدم العمل به.

س: إلى كم ينقسم الخلاف؟

ج: إلى قسمين: محرم وجائز:

فأما المحرم، فهو: ما كان ناشئا عن هوىً وتعصب وما كان مؤديا إلى البغي والعدوان وترك الحق، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾.

وقوله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ [سورة البقرة:١٧٦]

وقوله ﷺ- «...، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي: الجماعة».(١)

وأما الجائز، فهو: ما كان ناشئا عن اجتهاد وإرادة الحق ولا يؤدي إلى عداوة ولا عدوان، وهذا يسمى بالخلاف السائغ والأول خلاف غير سائغ.

س: ما هو علاج الاختلاف والتفرق؟

ج: هو ما ذكره الله بقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [سورة النساء:٥٩].

ومن العلاج: الاتصاف بالإنصاف والحلم والتقوى والتواضع والصبر وتجاوز حظوظ النفس وغض الطرف عن بعض الأمور.

(١) [عن أنس. الصحيحة ٢٠٤].

الأصل الثالث:

قال المصنف رحمه الله:

(الأصل الثالث: أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا، ولو كان عبداً حبشيًّا؛ فبين الله له هذا بياناً شائعاً كافياً بوجوه من أنواع البيان شرعاً وقدراً، ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به؟!).

علاقة هذا الأصل بما قبله:

هذا الأصل مع الأصلين السابقين لا تقوم مصالح الدنيا والدين إلا بها، ولهذا جمع النبي - ﷺ - بينها في مواضع عدة منها:

قوله - ﷺ- (ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبدا: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم).(١)

وكذا حديث أبي هريرة -السابق- «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا ويَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثًا فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ ولاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ولاَ تَفَرَّقُوا٠٠)(٢)

أهمية هذا الأصل:

---

(١) أخرجه أحمد. عن زيد ابن ثابت. الصحيحة (٤٠٤).

(٢) رواه مسلم وفي رواية لأحمد[وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ،].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:.

فَصْلٌ يَجِبُ أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ وِلَايَةَ أَمْرِ النَّاسِ مِنْ أَعْظَمِ واجِبَاتِ الدِّينِ؛ بَلْ لَا قِيَامَ لِلدِّينِ ولَا لِلدُّنْيَا إلَّا بِهَا، فَإِنَّ بَنِي آدَمَ لَا تَتِمُّ مَصْلَحَتُهُمْ إلَّا بِالِاجْتِمَاعِ لِحَاجَةِ بَعْضِهِمْ إلَى بَعْضٍ ولَا بُدَّ لَهُمْ عِنْدَ الِاجْتِمَاعِ مِنْ رَأْسٍ حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- (إذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ).(١)

فَأَوْجَبَ -ﷺ- تَأْمِيرَ الْوَاحِدِ فِي الِاجْتِمَاعِ الْقَلِيلِ الْعَارِضِ فِي السَّفَرِ تَنْبِيهًا بِذَلِكَ عَلَى سَائِرِ أَنْوَاعِ الِاجْتِمَاعِ.

وَلِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجَبَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ ولَا يَتِمُّ ذَلِكَ إلَّا بِقُوَّةِ وإمَارَةٍ. وكَذَلِكَ سَائِرُ مَا أَوْجَبَهُ مِنْ الْجِهَادِ والْعَدْلِ وإقَامَةِ الْحَجِّ والْجُمَعِ والْأَعْيَادِ ونَصْرِ الْمَظْلُومِ. وإقَامَةِ الْحُدُودِ لَا تَتِمُّ إلَّا بِالْقُوَّةِ والْإِمَارَةِ؛ ولِهَذَا رُوِيَ: (أَنَّ السُّلْطَانَ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ)(٢) ويُقَالُ (سِتُّونَ سَنَةً مِنْ إمَامٍ جَائِرٍ أَصْلَحُ مِنْ لَيْلَةٍ واحِدَةٍ بِلَا سُلْطَانٍ). والتَّجْرِبَةُ تُبَيِّنُ ذَلِكَ.

ولِهَذَا كَانَ السَّلَفُ - كالْفُضَيْل بْنِ عِيَاضٍ وأَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ وغَيْرِهِمَا - يَقُولُونَ: لَوْ كَانَ لَنَا دَعْوَةٌ مُجَابَةٌ لَدَعَوْنَا بِهَا لِلسُّلْطَانِ.

---

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُد مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ وأَبِي هُرَيْرَةَ. (الصحيحة ١٣٢٢).

(٢) الضعيفة[١٦٦٢]

ثم قال: فَالْوَاجِبُ اتِّخَاذُ الْأَمَارَةِ دِينًا وقُرْبَةً يَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ التَّقَرُّبَ.

إلَيْهِ فِيهَا بِطَاعَتِهِ وطَاعَةُ رَسُولِهِ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرُبَاتِ. وإِنَّمَا يَفْسُدُ فِيهَا حَالُ أَكْثَرِ النَّاسِ لِابْتِغَاءِ الرِّيَاسَةِ أَوْ الْمَالِ بِهَا.(١)

نصب الولاة من ضروريات الحياة، ومن ضروريات الدين: ولهذا فإن الصحابة ﷺ لم يبيتوا ليلة بعد موت رسول الله ﷺ-، بل لم يدفنوه حتى نصبوا خليفة عليهم، وذكر عن ابن عباس أنه قال ليلة من إمام خير من أن تمطر أربعين صباحا.

قال الدكتور عبد السلام ابن برجس ﷺ: لو انطفأت إشارة مرورية كم يحصل من الفوضى المنقطعة النظير! فكيف بفقد إمام وأمير على المسلمين.

قوله: (فبين الله له هذا بياناً شائعاً كافياً بوجوه من أنواع البيان شرعاً وقدراً).

أما البيان الشرعي فمن وجوه، وهي كالتالي:

١-الأمر الصريح بالسمع والطاعة لولاة الأمر:

١-قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [سورة النساء:٥٩].

(١) [مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣٩٠].

قال الإمام النووي رحمه الله: قَالَ الْعُلَمَاءُ الْمُرَادُ بِأُولِي الْأَمْرِ مَنْ أَوْجَبَ اللَّهُ طَاعَتَهُ مِنَ الْوُلَاةِ والْأُمَرَاءِ هَذَا قَوْلُ جَمَاهِيرِ السَّلَفِ والْخَلَفِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ والْفُقَهَاءِ وغَيْرِهِمْ وقِيلَ هُمُ الْعُلَمَاءُ وقِيلَ الْأُمَرَاءُ والْعُلَمَاءُ.(١)

قال ابن كثير رحمه الله بعد ذكر الكلام عن هذه الآية: والظَّاهِرُ-وَاللَّهُ أَعْلَمُ-أَنَّ الْآيَةَ فِي جَمِيعِ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْأُمَرَاءِ والْعُلَمَاءِ.

٢-حديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ- ﷺ - أَنَّهُ قَالَ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ والطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ ولَا طَاعَةَ» متفق عليه.

٢-الأمر بالسمع والطاعة للولاة، ولو جاروا:

١) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دَعَانَا رَسُولُ اللهِ - ﷺ - فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ والطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا ومَكْرَهِنَا، وعُسْرِنَا ويُسْرِنَا، وأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»، قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ» متفق عليه.

٢) وعَنِ أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وسَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَتَكْثُرُ»،

(١) [شرح النووي على مسلم ١٢/ ٢٢٣].

قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ، فَالْأَوَّلِ، وأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ» متفق عليه.

٣) عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ -رضي الله عنه- أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ خَلَا بِرَسُولِ اللهِ - ﷺ - فَقَالَ: أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلَانًا؟ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ» متفق عليه.

٤) عن حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ م قال: قال ن: «..تَسْمَعُ وتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وأَطِعْ» متفق عليه.

قال ابن بطال – رحمه الله –: في هذه الأحاديث حجة في ترك الخروج على أئمة الجور، ولزوم السمع والطاعة لهم والفقهاء مجمعون على أن الإمام المتغلّب طاعته لازمة، ما أقام الجمعات والجهاد، وأن طاعته خير من الخروج عليه؛ لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء.(١)

وقال النووي – رحمه الله –: وأَمَّا الْخُرُوجُ عَلَيْهِمْ وقِتَالُهُمْ فَحَرَامٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وإِنْ كَانُوا فَسَقَةً ظَالِمِينَ وقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَحَادِيثُ بِمَعْنَى مَا ذَكَرْتُهُ وأَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ أَنَّهُ لَا يَنْعَزِلُ السُّلْطَانُ بِالْفِسْقِ(٢)

---

(١) [شرح صحيح البخاري ١٠/ ٨].

(٢) [شرح مسلم ١٢/ ٢٢٩].

٤-التحذير الشديد من أن يموت المسلم، وليس في عنقه بيعة:

١) عن ابن عمر ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، ومَنْ مَاتَ ولَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» رواه مسلم.

٥- بيان شؤم الخروج على ولاة أمور المسلمين:

٦- الأمر بقتال من نازع الولاة وفرق جماعة المسلمين:

١. عن عَرْفَجَةَ، ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: «إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ» وفي رواية لمسلم «مَنْ أَتَاكُمْ وأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ واحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوه» رواه مسلم.

٢. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا» رواه مسلم.

هذا الأصـل: من أصول معتقد أهل السنة والجماعة، ولهذا أدرجه العلماء المتقدمون والمتأخرون في كتب العقائد كالبربهاري والطحاوي وشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمهم الله- وغيرهم. لأهميته ولمخالفة أهل البدع فيه.

قال الإمام البربهاري رحمه الله: ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين، فهو خارجي، وقد شق عصا المسلمين، وخالف الآثار، وميتته ميتة جاهلية.(١)

حقوق الولاة على الرعية:

١-السمع والطاعة في المعروف، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا.

٢-النصيحة لهم سرا من دون التشهير بعيوبهم.

عن عياض بن غنم الأشعري، أن رسول الله - ﷺ - قال: «من أراد أن ينصح لذي سلطان، فلا يبده علانية، ولكن يأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه»(٢)

٣-الدعاء لهم بالصلاح والمعافاة -، وذلك من النصح لهم -، وأما الدعاء عليهم، فهو من علامات أهل البدع: قال الإمام البربهاري رحمه الله: وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله.(٣)

---

(١) [شرح السنة ص: ٥٨].

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني في ظلال الجنة: ١٠٩٦.

(٣) [شرح السنة ص: ١١٣].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قالَ كَانَ الْأَكَابِرُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يَنْهَوْنَنَا عَنْ سَبِّ الْأُمَرَاءِ.(١)

٤-عدم الخروج عليهم، وقد سبق ذكر الأدلة على ذلك.

البيان القدري لهذا الأصل:

الجانب القدري دل عليه، وذلك بفشل الانقلابات لمن تأمل في التاريخ وما حصل – ويحصل- من العواقب الوخيمة والمفاسد الجسيمة والشرور الكثيرة الخاصة والعامة من سفك الدماء وتيتيم الأطفال وترميل النساء وترويع الآمنين وانتشار الخوف والقلق العام وفتح باب للفوضى وقطع الطريق والسلب والنهب وتضييع الحقوق.

قوله: ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به؟

هذا هو بيت القصيد أن المصنف يربط بين الأصل الشرعي ويبين واقع الناس.

في عهد المؤلف انتشر الجهل حتى جهل هذا الأمر وصاروا يتشبهون بالجاهليين في التمرد والإباء عن السمع والطاعة والتبرم عن طاعة أحد في حد زعمهم ولعمري ما الذي يجنى من هذه الطريقة سوى التخلف والجهل والانحطاط والفوضى التي لا يأذن الله بها ولا يرضى بها عقلاء الناس وأهل المعروف منهم.

---

(١) .[التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٢١/ ٢٨٧].

فائدة: الخوارج يشترطون في الوالي أن يكون معصوما، وكذا الشيعة.

وهذا مخالف للنصوص الشرعية [وإجماع الأمة] (العبيلان).

الأصـل الرابـع:

قال المصنف رحمه الله:

(الأصـل الرابـع بيان العلم والعلماء، والفقه والفقهاء، وبيان من تشبه بهم، وليس منهم، وقد بين الله هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾ [سورة البقرة:٤٠]. إلى قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧﴾ [سورة البقرة:٤٧].

ويزيده وضوحاً ما صرحت به السنة في هذا الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد، ثم صار هذا أغرب الأشياء، وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم لبس الحق بالباطل، وصار العلم الذي فرضه الله تعالى على الخلق ومدحه لا يتفوه به إلا زنديق، أو مجنون، وصار من أنكره وعاداه وصنف في التحذير منه والنهي عنه هو الفقيه العالم).

الشرح:

أهمية هذا الأصل وعلاقته بما قبله: قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وَلَمَّا كَانَ قِيَامُ الْإِسْلَامِ بِطَائِفَتَيْ الْعُلَمَاءِ والْأُمَرَاءِ، وكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لَهُمْ تَبَعًا، كَانَ صَلَاحُ الْعَالَمِ بِصَلَاحِ هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ، وفَسَادُهُ بِفَسَادِهِمَا، كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وغَيْرُهُ مِنْ السَّلَفِ: صِنْفَانِ مِنْ النَّاسِ إذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ، وإذَا فَسَدَا فَسَدَ النَّاسُ، قِيلَ: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: الْمُلُوكُ، والْعُلَمَاءُ:

رَأَيْت الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ ... وقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إدْمَانُهَا.
وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ ... وخَيْرٌ لِنَفْسِك عِصْيَانُهَا.
وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إلَّا الْمُلُوكُ ... وأَحْبَارُ سُوءٍ ورُهْبَانُهَا(١)

ولأن الأمة، إنما تتلقى أحكام دينها عن العلماء ورثة الأنبياء.

وأيضاً : لما كان لفظ (العلم) مشتركا بين النافع والضار، وكذلك لفظ (العلماء) كان من المهم البيان للنوعيين والتمييز بين الفريقين ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ٤٢﴾ [سورة الأنفال:٤٢]

(١) [إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ ٨].

قوله (بيان العلم) المراد العلم الشرعي.

قوله (والفقه والفقهاء).

ليس مراد المؤلف رحمه الله بالفقه هنا معناه في الاصطلاح الخاص الذي هو معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، بل المراد بالفقه هنا إدراك الشريعة وفهمها، وهو المقصود بقول النبي – ﷺ –: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)، ولهذا فأعظم الفقه هو ما يسمى (الفقه الأكبر)، وهو: المعرفة بالله وبأسمائه وصفاته وإخلاص العبادة له وحد لا شريك له ونحو ذلك من مسائل الإيمان والتوحيد ,، فإذا كان الرجل فقيها في مسائل وأحكام العبادات والمعاملات، وهو لا يدرك (الفقه الأكبر)، أو لا يعمل به، فهذا هو الصنف الذي قصده المصنف رحمه الله بقوله: (وبيان من تشبه بهم، وليس منهم،).

فالشريعة بينت هذا الأصل بيانا واضحا حتى لا يلتبس الحق بالبطل على أحد ولئلا يكون لأحد حجة في عدم معرفة ذلك.

ولأن الأمة، إنما أُتيت من قبل هذا الصنف وأضرابه، ولهذا كانوا يقولون:

ما أفسد الدين والدنيا إلا أربعة:

نصف فقيه يفسد البلدان، ونصف لغوي يفسد اللسان، ونصف طبيب يفسد الأبدان، ونصف متكلم يفسد الأديان.

فالواجب التعلم وعدم التعالم والتواضع وعدم الترفع والتأني قبل التصدر قَالَ عُمَرُ ﷺ: «تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا» قَالَ البخاري: «وَبَعْدَ أَنْ تُسَوَّدُوا وقَدْ تَعَلَّمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ - ﷺ - فِي كِبَرِ سِنِّهِمْ»(١)

عن كعب بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله - ﷺ - «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه».(٢)

وقال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة القصص:٨٣].

قوله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة البقرة:٤٠]. إلى قوله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة البقرة:٤٧].

قد جاءت الشريعة ببيان فضل العلم وبيان صفات حملته، حتى لا يختلط الأمر وينعكس، فيؤخذ العلم عن غير أهله.

---

(١) [صحيح البخاري ١/ ٢٥].

(٢) [حم ت] [صحيح الجامع الصغير وزيادته ٢/ ٩٨٣].

ففي حديث أبي أمية الجمحي. ﷺ عن رسول الله – ﷺ – قال: «إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر»(١)

قيل أراد بالأصاغر أهل البدع (٢)

ومن هذه الآيات التي ذكرها المصنف – رحمه الله – نستنبط أن من صفات العلماء الراسخين:

١–أنهم يعرفون قدر نعمة الله عليهم فيشكرونها.

٢–أنهم يفون بالعهود التي بينهم وبين الله والتي بينهم وبين خلق الله.

٣–أنهم يخشون الله.

٤–لا يلبسون الحق بالباطل تبعا لأهوائهم.

٥–أنهم لا يكتمون الحق، ولو كان عليهم.

٦–أنهم يقيمون الصلاة بخشوع كما وخضوع.

٧–أنهم يؤتون الزكاة طيبة بها أنفسهم.

---

(١) رواه الطبراني وابن المبارك، [الصحيحة ٦٩٥].

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير . للمناوى (١/ ٧٠٦).

٨- أنهم يحافظون على صلاة الجماعة مع المسلمين.

٩- أنهم يعملون بما يعلمون ويفعلون ما يقولون.

١٠- أنهم يستعينون على أمورهم بالصبر والصلاة.

١١- أنهم يستعدون للقاء الله.

ومن أبرز صفات العلماء العاملين أيضاً:

- أنهم يدعون إلى الحق لا إلى البدع والضلالات.
- ويدعون إلى الاجتماع على الحق لا إلى التفرق والتحزب.
- ويحذرون من التقليد والتعصب لأي أحد من البشر غير النبي - ﷺ -.
- وأنهم لا يجعلون الدعوة مصيدة لأموال الناس.

ويقبلون الحق ممن جاء به ويردون الباطل على من أتى به كائنا من كان.

وأما صفات علماء الضلال والانحراف فعلى العكس من ذلك.

قوله: (ويزيده وضوحاً ما صرحت به السنة في هذا الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد).

أي أن السنة جاءت ببيان من هم العلماء الصادقون الصالحون، ومن هم العلماء الكاذبون الفاسدون المفسدون للأمة من وجوه كثيرة سبق بيان شيء منها.

ومنها: عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعُذْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ –: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وتَأْوِيلَ الْجَاهِلِين».(١)

ومنها: عَن زِيَاد بن حدير قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ: هَلْ تَعْرِفُ مَا يَهْدِمُ الْإِسْلَامَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: يَهْدِمُهُ زَلَّةُ الْعَالِمِ وجِدَالُ الْمُنَافِقِ بِالْكِتَابِ وحُكْمُ الْأَئِمَّةِ المضلين ".(٢)

ومنها: عن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ –: إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان.(٣)

وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة المبينة والمفرقة بين علماء ربانيين وعلماء زائغين منحرفين والله المستعان وعليه التكلان.

فائدة جليلة: من علامات العلم النافع:

١- العلم النافع يدل على معرفة الله وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الباهرة.

---

(١) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيّ مشكاة المصابيح (١/ ٥٣).

(٢) رَوَاهُ الدِّرَامِي (صَحِيح) [مشكاة المصابيح ٣/ ١٤٨٤].

(٣) رواه الطبراني[صحيح الترغيب والترهيب ١/ ٣١].

وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته ومهابته ومحبته ورجاءه والتوكل عليه والرضى بقضائه والصبر على بلائه.

٢- المعرفة بما يحبه ويرضاه وما يكرهه ويسخطه من الاعتقادات والأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.(١)

٣- أنه يباشرَ القلوبَ فيوجبَ لها السكينةَ والخشية والاخباتَ لله والتواضعَ والانكسارَ له.(٢)

٤- وعَن مَالك بن أنس رحمه الله قَالَ: إِن الْعلم لَيْسَ بِكَثْرَة الرِّوَايَة إِنَّمَا الْعلم نور يقذفه الله فِي الْقلب.(٣)

الأصل الخامس:

قال المصنف رحمه الله:

---

(١) [بيان فضل علم السلف على علم الخلف ص: ٧].

(٢) [تفسير ابن رجب الحنبلي ٢/ ١٤].

(٣) أخرجه ابْن أبي حَاتِم وابْن عدي.

(الأصل الخامس: بيان الله سبحانه لأولياء الله وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء الله والمنافقين والفجار، ويكفي في هذا آية في سورة آل عمران، وهي قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران: ٣١]

وآية في سورة المائدة، وهي قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [سورة المائدة: ٥٤]

وآية في سورة يونس، وهي قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة يونس: ٦٢٦٣].

ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم وأنه من هُداة الخلق وحفّاظ الشرع إلى أن أولياء الله لابد فيهم من ترك اتباع الرسل، ومن تبعهم، فليس منهم، ولابد من ترك الجهاد، فمن جاهد، فليس منهم، ولابد من ترك الإيمان والتقوى، فمن تعهد بالإيمان والتقوى، فليس منهم، يا ربنا! نسألك العفو والعافية إنك سميع الدعاء).

(الشـرح)

هذا الأصل له تعلق بالتوحيد والذّب عنه وبالشرك والتحذير منه، وذلك؛ لأن أكثر تعلق الناس في شركهم بما يسمونه الأولياء وكراماتهم ونحو ذلك.

أهمية هذا الأصل وعلاقته بما قبله:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: هذه المسألة من أعظم المسائل التي يحتاج إليها جميع الناس، فإنه من لم يُفرِّق بين الخوارق التي تكون آياتٍ وبراهينَ ومعجزاتٍ للأنبياء، وتكون مما يُكرِم الله به الأولياءَ؛ وبين الخوارق التي تكون للسحَرة والكُهَّانِ وغيرِهم من حزب الشيطان، وإلاّ اشتبه عليه الأنبياء وأتباعُهم أولياءُ الله المتقون بالمنتسبين الكذابين الضالين.(١)

قوله: (بيان الله سبحانه لأولياء الله).

الأولياء جمع ولي من الولاية، وهي: المحبة والنصرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن لله أولياء من الناس، وللشيطان أولياء، ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

فقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٥﴾ [سورةيونس:٦٢-٦٥].

---

(١) [جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ١/ ٩٥].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [سورة البقرة:٢٥٧]

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ﴾ [سورة المائدة:٥١] إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾ [سورة المائدة:٥٤-٥٦].

وذكر أولياء الشيطان، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠﴾ [سورة النحل:٩٨-١٠٠].﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ

كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [سورة النساء:٧٦] وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الكهف:٥٠] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾﴾ [سورة النساء:١١٩].(١)

س: من هم أولياء الله؟

ج: أصرح آية في ذلك آية يونس، وهي قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورةيونس:٦٢-٦٣].

وذكر المصنف آيتين أخريين أولاهما قوله تعالى :

﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران:٣١]

(١) [الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص: ٤].

وهذه الآية تسمى آية المحنة، قال الحسن البصري رحمه الله: ادعى قوم أنهم يحبون الله، فأنزل الله هذه الآية محنة لهم.

وقد بين الله فيها أن من اتبع الرسول، فإن الله يحبه، ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول – ﷺ –، فليس من أولياء الله، وإن كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم، أو في غيرهم، أنهم من أولياء الله، ولا يكونون من أولياء الله، فاليهود والنصارى يدعون أنهم أولياء لله، وكان مشركو العرب يدعون أنهم أهل الله، لسكناهم مكة، ومجاورتهم البيت، وكانوا يستكبرون به على غيرهم،..).(١)

ثانيهما قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [سورة المائدة:٥٤] الآية أي إلى آخرها.

أفادت هذه الآية أن من صفات أولياء الله:

١–أنهم يحبون الله والدليل على ذلك اتباعهم لرسول الله – ﷺ –.

٢–أنهم أذلة على المؤمنين: أي متواضعون لهم لا يترفعون عليهم ولا يحقرونهم ولا يبغون عليهم ولا يؤذونهم بأي نوع من أنواع الإيذاء.

---

(١) [الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص: ١٢].

٣-أنهم أعزة على الكافرين: أي أشداء عليهم يبغضونهم ويعادونهم، لأنهم أعداء الله ولا يحبونهم ولا يتولونهم ولا يتشبهون بهم.

٤-انهم يجاهدون في سبيل الله: أي يبذلون الجهد في قتال أعداء الله لتكون كلمة الله هي العليا، وذلك من أفضل الأعمال.

٥-أنهم لا يخافون في الله لومة لائم: أي إذا لامهم أحد على ما قاموا به من دين الله لم يخافوا لومته، ولم يمنعهم ذلك من القيام بدين الله ﷻ.

٦-أنهم يقيمون الصلاة بخشوع وطمأنينة ويؤتون الزكاة طيبة بها أنفسهم ويلازمون عبادة الله.

س: إلى كم تنقسم الولاية؟

ج: إلى قسمين:

١- **ولاية عامة لجميع الخلق:** وهي ولاية التدبير والتصريف. كما قال تعالى ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٣٠﴾ [سورة يونس: ٣٠].

٢- **ولاية خاصة بالمؤمنين**: وهي ولاية التوفيق والإعانة. كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [سورة البقرة:٢٥٧].(١)

قوله (ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم وأنه من هُداة الخلق وحفّاظ الشرع إلى أن أولياء الله لابد فيهم من ترك اتباع الرسل ١٠٠الخ).

- الصوفية، ومن نحا نحوهم غلو في الأولياء شيئا فشيئا حتى صارت الولاية عندهم أرفع من النبوة حتى قال قائلهم:

مقام الرسالة في برزخ فويق النبي ودون الولي.

حتى إنهم يعتقونهم في أوليائهم أنهم قد سقطت عنهم التكاليف الشرعية، لأنهم قد بلغوا درجة اليقين في حد زعمهم ,، وهذا هو عين الانسلاخ عن الدين وترك اتباع سيد الأولين والاخرين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فمن (لم) يتقرب إلى الله لا بفعل الحسنات ولا بترك السيئات، لم يكن من أولياء الله.(٢)

---

(١) انظر [القول المفيد للعثيمين٢/٦٠].

(٢) [الفرقان ص: ٤٧].

ولهذا قال الله ﷻ في الحديث القدسي – المشهور بحديث الولي – (ومَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ) رواه البخاري.

وقال رحمه الله:، **وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها، وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من** الأولياء، الذين ليسوا بأنبياء، وقد رتب الله عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ [سورةالنساء:٦٩-٧٠].﴾

وقال رحمه الله: مبينا (**الولاية عند الصوفية وأشباههم**) وتجد كثيرا من هؤلاء، عمدتهم في اعتقاد كونه وليا لله، أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور، أو بعض التصرفات الخارقة للعادة، مثل أن يشير إلى شخص فيموت، أو يطير في الهواء إلى مكة، أو غيرها، أو يمشي على الماء أحيانا، أو يملأ إبريقا من الهواء، أو ينفق بعض الأوقات من الغيب، أو يختفي أحيانا عن أعين الناس، أو أن بعض الناس استغاث به، وهو غائب، أو ميت فرآه قد جاءه، فقضى حاجته، أو يخبر الناس بما سرق لهم، أو بحال غائب لهم، أو مريض، أو نحو ذلك من الأمور، وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي

الله، **بل قد اتفق أولياء الله**، على أن الرجل لو طار في الهواء، أو مشى على الماء، لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله – ﷺ – وموافقته لأمره ونهيه.(١)

أصناف الناس في شأن الأولياء:

والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف: طرفان ووسط.

فمنهم: من إذا اعتقد في شخص أنه ولي لله، وافقه في كل ما يظن أنه حدثه به قلبه عن ربه، وسلم إليه جميع ما يفعله.

ومنهم: من إذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع، أخرجه عن ولاية الله بالكلية، وإن كان مجتهدا مخطئا.

وخيار الأمور أوساطها، وهو ألا يجعل معصوماً ولا مأثوماً إذا كان مجتهدا مخطئا، فلا يتبع في كل ما يقوله، ولا يحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده.(٢)

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله–ﷺ–.

---

(١) [الفرقان ص: ٧٨].

(٢) [الفرقان ص: ٦٥].

وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم، فإن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله ﷻ، وتجب طاعتهم فيما يأمرون به.

بخلاف الأولياء، فإنهم لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به، ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به، بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله، وما خالف الكتاب والسنة كان مردودا، وإن كان صاحبه من أولياء الله، وكان مجتهدا معذورا فيما قاله، له أجر على اجتهاده، ولكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئا، وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [سورة التغابن:١٦][(١)]

الأصل السادس:

(رد الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة، وهي: أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق، والمجتهد المطلق هو الموصوف بكذا، وكذا أوصافاً لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر.

فإن لم يكن الإنسان كذلك فليعرض عنهما فرضاً حتماً لا شك ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدى منهما، فهو، إما زنديق، وإما مجنون؛ لأجل صعوبة فهمها، فسبحان الله

(١) [الفرقان ص: ٧١].

وبحمده! كم بيّن الله سبحانه شرعاً وقدراً خلقاً وأمراً في ردّ هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى بلغت إلى حد الضروريات العامة، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧]، ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١﴾ [سورة يس:٧-١١]. **[يس:٧-١١]**.

آخره، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين).

(الشرح):

هذا الأصل من أهم الأصول التي ينبغي على المسلم أن يعتني بها وجعله المؤلف أخر هذه الأصول لأنه بسبب تغيير هذا الأصل حدث ما حدث للمسلمين من الإضلال و الردة ..

وكأنه أراد أن هذه الأصول الخمسة الأولى واضحة وجلية وأن الناس ما دفعهم لرد هذه الأصول الخمسة الأُولى والإضلال فيها إلا أنهم ضلوا في هذا الأصل.

قوله: (رد الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة).

(الشبهة): مأخوذة من الِاشْتِبَاهُ، وهو الِالْتِبَاسُ / والشُّبْهَةُ فِي الْعَقِيدَةِ الْمَأْخَذُ الْمُلَبَّسُ سُمِّيَتْ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ.(١)

وهذه الشبهة كانت منتشرة رائجة في حياة المصنف رحمه الله.

(الشيطُان) كلُّ عَاتٍ مُتَمَرِّدٍ مِنَ الْجِنِّ والإِنس والدَّوَابِّ شَيْطَانٌ.(٢)

(الآراء) والآراء تنقسم إلى قسمين: ١- مقبولة: وهي الموافقة للقرآن والسنة.

٢- مردودة، وهي المخالفة للقرآن والسنة، وهي المرادة هنا.

- وهكذا عند الإطلاق يراد بها الآراء المعيبة المذمومة.

(والأهواء) قال ابن القيم رحمه الله:

وأما الهوى، فهو ميل النفس إلى الشيء وفعله هوي يهوى هوىً مثل عمي يعمى عمىً، وأما هوى يهوي بالفتح، فهو السقوط ومصدره الهوي.

---

(١) انظر [المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/ ٣٠٤].

(٢) [لسان العرب ١٣/ ٢٣٨].

وأكثر ما يستعمل في الحب المذموم كما قال الله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾, ويقال:، إنما سمى هوى لأنه يهوي بصاحبه، وقد يستعمل في الحب الممدوح استعمالا مقيدا ومنه قول النبي –ﷺ– لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به.(١)

قلت: المراد بالأهواء هنا المردية المنحرفة المهلكة.

قوله: **(وهي: أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق).**

الاجتهاد لغة: بذل الجهد لإدراك أمر شاق.

واصطلاحاً: بذل الجهد لإدراك حكم شرعي. شرح العثيمين.

وهو ينقسم إلى قسمين: اجتهاد مطلق واجتهاد مقيد.

١–الإجتهاد المطلق، وهو: الإحاطة بالعلوم الشرعية العقيدة والتفسير والفقه والأصول والحديث واللغة ونحو ذلك.

ووجود أهل هذا القسم نادر خصوصا في الأزمنة المتأخرة.

---

(١) [روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص: ٢٢].

٢-الاجتهاد المقيد، وهو: الإحاطة بفن من الفنون كالعقيدة والفقه ونحوهما.(١)

قوله: **(والمجتهد المطلق هو الموصوف بكذا، وكذا أوصافاً لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر).**

وذلك، لأنهم اشترطوا شروطا ما أنزل الله بها من سلطان مثل: اشتراط معرفة علم الكلام والمنطق وغير ذلك من العلوم الباطلة.

س: ما هو مقصدهم من هذه الشبهة وما نتيجتها؟

ج: مقصدهم من ذلك تعمية الحق على الناس حتى يسهل عليهم بعد ذلك بث سموم أفكارهم وأباطيلهم المضلة؛ لأن الناس صاروا مقلدين لهم في كل شيء.

وهذا الطريق الوعر يؤدي إلى هجر الكتاب والسنة والإعراض عنهما.

ويؤدي إلى الهلاك قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾ [سورة البقرة: ١٧٠].

(١) انظر شرح العثيمين.

قوله (فإن لم يكن الإنسان كذلك فليعرض عنهما فرضاً حتماً لا شك ولا إشكال فيه).

"**فليعرض عنهما**"، أي عن الكتاب والسنة فيتلقى الفقه من متون فقهية جامدة يتعصب لها ويعظمها كأنها كتاب الله.

" **لا شك فيه** " توكيدات من أهل الباطل. المرجع السابق.

قوله: (ومن طلب الهدى منهما، فهو، إما زنديق، وإما مجنون؛..).

الشيخ هنا ذكر لفظة "مجنون وزنديق" لأنهما من الكلمات التي كانت توجه إليه و يتهم بها هو و كل من كان من أهل السنة و الجماعة في زمانه.

قوله: (فسبحان الله وبحمده!) فيه تنزيه الله تعالى عن أفعال المجرمين الذين حرفوا الدين مما يفعله المبتدعة.

قوله : (كم بيّن الله سبحانه شرعاً وقدراً خلقاً وأمراً في ردّ هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى بلغت إلى حد الضروريات العامة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧].

هذه الشبهة، وإن كانت من أخطر الشبه وأخبثها إلا أنها داحضة واهية أوهى من بيت العنكبوت معلوم بطلانها من الدين بالضرورة ويرد عليها من وجوه عدة منها.

الأول: أن الله ﷻ أخبر أن القرآن هدى وشفاء كما في قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ [سورة البقرة:٢] ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ﴾ [سورة فصلت:٤٤].

الثاني: أن الله سبحانه أخبر عن القرآن أنه بين واضح كما في قول الله تعالى:

﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [سورة النحل:٨٩].

الثالث: أن الله – سبحانه – جعله عربيا –لأجل أن يفهم- كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ [سورة يوسف:٢].

الرابع: أن الله تعالى أمر الناس بتدبره كما في قوله سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ **[ص: ٢٩]** وقوله ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [سورة النساء:٨٢].

فهل يأمرنا الله بتدبر كلام لا نستطيع فهمه؟! تعالى الله عما يقو الظالمون علوا كبيرا!!!.

الخامس: **أن الله يسَّره للناس قراءة وفهما وعملا** كما في قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ **[القمر: ١٧]** [والحكم في هذه الآية يعم كل مؤمن و مؤمنة، فلا تحتاج كل آيات القران و أحاديث السنة إلى المجتهد إلا في أضيق الأمور.].

السادس: **أن هذه الشبهة متلقاة من اليهود المغضوب** عليهم والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة البقرة:٨٨]

السابع: **لو أتي بأجهل المسلمين** وأبلدهم وقُرئ عليه القرآن لما أشكل عليه , خصوصا ءايات التوحيد والصلاة وسائر الأحكام الشرعية , مثل قول الله تعالى ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [سورة النساء:٣٦] ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة البقرة:٤٣].

ثم إن أشكل شيء من القرآن على بعض الناس لم يشكل على غيرهم وأغلب ءايات القرآن مفهومة بحمد الله.

قوله (في ردّ هذه الشبهة الملعونة).

أي: المطرودة من رحمة الله ومن حملها مطرود أيضا من رحمة الله.

قوله تعالى ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾ [سورة يس:٧].

أي: نفذ فيهم القضاء والمشيئة، أنهم لا يزالون في كفرهم وشركهم، وإنما حق عليهم القول بعد أن عرض عليهم الحق فرفضوه، فحينئذ عوقبوا بالطبع على قلوبهم.

وذكر الموانع من وصول الإيمان لقلوبهم، فقال:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ [سورة يس:٨]، وهي جمع "غل" و "الغل" ما يغل به العنق، فهو للعنق بمنزلة القيد للرجل، وهذه الأغلال التي في الأعناق عظيمة قد وصلت إلى أذقانهم ورفعت رءوسهم إلى فوق، ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾ [سورة يس:٨]، أي: رافعو رءوسهم من شدة الغل الذي في أعناقهم، فلا يستطيعون أن يخفضوها.

﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [سورة يس:٩].

أي: حاجزا يحجزهم عن الإيمان، ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [سورة يس:٩] قد غمرهم الجهل والشقاء من جميع جوانبهم، فلم تفد فيهم النذارة.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾ [سورة يس:١٠]، وكيف يؤمن من طبع على قلبه، ورأى الحق باطلا والباطل حقا؟!

والقسم الثاني: الذين قبلوا النذارة، وقد ذكرهم بقوله: ﴿**إِنَّمَا تُنْذِرُ**﴾، أي: إنما تنفع نذارتك، ويتعظ بنصحك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ﴾ [سورة يس:١١] [، أي:] من قصده اتباع الحق وما ذكر به، ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ [سورة يس:١١]، أي: من اتصف بهذين الأمرين، القصد الحسن في طلب الحق، وخشية الله تعالى، فهم الذين ينتفعون برسالتك، ويزكون بتعليمك، وهذا الذي وفق لهذين الأمرين ﴿فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ﴾ [سورة يس:١١] لذنوبه، ﴿وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ١١﴾ [سورة يس:١١] لأعماله الصالحة، ونيته الحسنة. [تفسير السعدي ص: ٦٩٣].

آخره، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين].